الأسرى في صفقة القرن...
ازدياد عدد الجدران والأبراج المسلحة

بقلم: عيسى قراقع

المؤامرة الأميركية – الإسرائيلية التي أعلن عنها يوم 28/ 1/ 2020 تحت ما يسمى "صفقة القرن" لا تستهدف فقط الأرض والتاريخ والجغرافيا والهوية الوطنية الفلسطينية وحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني، وإنما أيضاً تضمنت استهدافاً واضحاً للمكانة القانونية والإنسانية والنضالية للأسرى والمعتقلين الفلسطينيين القابعين في سجون الاحتلال، وذلك بالتعاطي معهم كمجرمين وإرهابيين وقتلة ومجرد أرقام هامشية وملفات مجزأة تخضع للمساومة والابتزاز، وكأنهم أشياء لا قيمة إنسانية لها.

صفقة القرن بكل ما حملته من مخطط تصفوي للقضية الفلسطينية، وبكل ما فيها من انتهاك فظيع للقوانين الدولية والإنسانية وتجسيد واضح لدولة الاحتلال العنصرية الأبرتهايد، فإنها تستهدف بشكل جوهري الإنسان المناضل، بتجريم نضال الأسرى والشهداء والجرحى وإخضاعهم لاشتراطات ومعايير عدائية وانتقامية، ووصمهم بالقتلة والأيادي الملطخة بالدم والمساس بشرعية نضالهم المشروع ومقاومتهم للاحتلال.

إن صفقة القرن هي الناطقة باسم العقلية الإسرائيلية الفاشية وسياستها المعادية لحقوق

الأسرى وللاتفاقيات الدولية، هي غطاء لجرائم الاحتلال المتواصلة وإرهاب الدولة الرسمي بحق المعتقلين بالسجون.

إذا كانت الصفقة تريد إخفاء الشعب الفلسطيني في معازل والقضاء على ملاحمهم وتطلعاتهم الوطنية، فإنها تريد إخفاء الأسرى من الحياة وقبرهم في السجون وزنازين العزل، وهي بذلك تستهدف مشروع الحرية والعدالة، الذي يمثله آلاف الأسرى والأسيرات القابعين في السجون.

تشكل صفقة القرن استكمالاً للسياسة الإسرائيلية التي برزت بشكل منهجي بعد اتفاقيات أوسلو عام 1993 في التعامل مع الأسرى من خلال إملاءات وشروط ومحددات وتعهدات يخضع لها الأسرى الذين سيتم الإفراج عنهم في أي اتفاق أو عملية سلام، هذه الاشتراطات التي ترتبط بتهمة الأسير ومكان سكنه وانتمائه التنظيمي، مما وضع الأسرى تحت رحمة الاشتراطات الأمنية الإسرائيلية، وهذا ما حوّل عملية السلام المزعومة إلى عملية قهر وعدوان لازال الأسرى يدفعون ثمنها إلى الآن.

صفقة القرن هي تطبيق عملي للممارسات الإسرائيلية بحق الأسرى من اعتقالات جماعية واعتداءات يومية وممارسة التعذيب والتنكيل وحرمانهم من أبسط حقوقهم الإنسانية والمعيشية والصحية، إنها صفقة تبني سجناً آخر أكثر قسوة للشعب الفلسطيني وللأسرى في السجون، بل صفقة تزيد عدد الجدران والأبواب والأبراج المسلحة التي تطوق وتحكم شعبنا وأسرانا المناضلين.

صفقة القرن التي تنهب الأرض وتفتتها وتحولها إلى هيكل عظمي بلا لحم وبلا دم هي نفسها الصفقة التي تشن حرباً على حقوق الأسرى بهدف تحويلهم إلى حطام في زمن السجن اللامتناهي في تلك المؤبدات خلف الظلمات البعيدة، وأكثر من ذلك تعطي حافزاً وتشجيعاً للاحتلال على مواصلة جرائمه وانتهاكاته بحقهم، اعتقالات إدارية، إهمال طبي، عزل انفرادي، قمع واعتداءات، تعذيب الأطفال والتنكيل بهم، هذه الصفقة أكثر من نكبة وأكبر من حرب، إنها السياج الحامي لأطول احتلال في التاريخ المعاصر ولاستعمار كولونيالي هو الأكثر طغيانا ووحشية في منطقة الشرق الأوسط.

صفقة القرن تبارك التشريعات العنصرية العدائية التي شرعها الإسرائيليون بحق الأسرى، التغذية القسرية بحق المضربين، استخدام التعذيب العنيف، هدم منازل الأسرى، احتجاز جثامين الشهداء الأسرى، عدم تقديم العلاج للمرضى، احتجاز أموال الشعب الفلسطيني بحجة إعانة عوائل الأسرى والشهداء والجرحى، اعتقال القاصرين، الاعتقال الإداري التعسفي، الأحكام الجائرة والغرامات المالية الباهظة، وفي الوقت نفسه، هذه الصفقة تشكل الحامي للمجرمين والقتلة الإسرائيليين وللمستوطنين المتطرفين الذين ارتكبوا جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية بحق أبناء شعبنا الفلسطيني، هي صفقة توزع النياشين على الجلادين الإسرائيليين والمجرمين اليهود.

يبدو أن الرئيس الأميركي ترامب لا يعرف من هو مروان البرغوثي ولا أحمد سعادات ولا كريم يونس، لم يسمع عن أسرى حملوا زمن السجن فوق أكتافهم وظلوا مرفوعي الرؤوس، لم يركعوا ولم يستسلموا للسجانين ولم يخضعوا يوماً إلى هيمنة المحتلين وأساليب قمعهم الوحشية، الوطن في داخلهم ليس عقاراً ولا صفقة، إنه حياة وقضية معاً، كما قال محمود درويش، هو الشوق إلى الموت من أجل أن تعيد الحق والأرض، ليس الوطن أرضاً، ولكنه الأرض والحق معاً.

الرئيس الأميركي ترامب لم يسمع أن الأسير وليد دقة قام بالرد على صفقته بعد عدة أيام فقط، إنه رد أسطوري غير متوقع، فبعد 35 عاماً في سجون الاحتلال ينجب وليد طفلته الجميلة ميلاد عن طريق تهريب النطف، ليقول وليد في رسالته: إذا كانت الصفقة تصنع الظلام لشعبي، فميلاد هي النور والحياة، وإذا كانت الصفقة هدفها الإحباط واليأس وفرض الأمر الواقع بالقوة، فميلاد هي الإرادة والأمل والمستقبل، ميلاد هي وطن الحرية القادمة، نبض الدم واللحم والنخاع والعمر المديد، وإذا كان ترامب يقيس السلام بالأموال والصفقات التجارية ويقايض الحقوق السياسية بالمشاريع الاقتصادية، فإننا نحن الأسرى نقيس السلام ما بين أجسادنا وأحلامنا بكل ما فينا من ميلاد وأرواح عنيدة.